الفصل الثامن

عطاء التبشير: لقيصر أم لله؟!

في محاولة من اليهود للإيقاع بالمسيح وإغراء السلطات الرومانية الحاكمة به «أرسلوا إليه قوما من الفريسيين والهيرودسيين لكي يصطادوه بكلمة. فلما جاءوا قالوا له: يا معلم، نعلم أنك صادق ولا تبالي بأحد، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس بل بالحق تعلم طريق الله.

أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا؟ نعطي أم لا نعطي؟

فعلم رياءهم وقال لهم: لماذا تجربونني. إيتوني بدينار لأنظره. فأتوا به. فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة؟ فقالوا: لقيصر.

فأجاب يسوع وقال لهم: أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله – مرقس ١٢: ١٣-١٧».

ولقد بين المسيح بوضوح أنه محال للإنسان الذي يؤمن بالإنجيل والتعاليم المسيحية أن يجمع بين: الآخرة والدنيا – الدين والدولة- الله والمال، فقال: «لا يقدر أحد أن يخدم سيدين.. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال – متى ٦: ٢٤-٢٦».

ويهمنا الآن أن نعرف حقيقة التبشير المسيحي وعطائه وخدماته، ولمن يقدم ذلك: لقيصر أم لله؟

التبشير والاستعمار

لم يعد ثمة شك في ارتباط التبشير المسيحي بالاستعمار، بعد ما تكشف من وثائق ونشرات صدرت عن المستعمرين والمبشرين، وما سجله المفكرون والأحرار في بلاد الاستعمار، وما أعلنه المناضلون من أجل الحرية في المستعمرات السابقة.

يقول المبشر الأمريكي جاك مندلسون: «**لقد تمت محاولات نشيطة لاستعمال المبشرين، لا لمصلحة المسيحية وإنما لخدمة الاستعمار والعبودية.** ولسجلات المستعمرات مغزى واضح جدا في هذه النقطة بالذات..

ولقد قال ملك فرنسا: «**الدين ضروري لكل الناس، ولكنه أكثر ضرورة في المستعمرات الآهلة بالعبيد التي لا يمكن أن تحوي أملا في حياة أفضل إلا بعد الموت.**

وفي عصر النهضة كتب وزير الحربية (الفرنسي) إلى حاكم المارتينيك: «**يجب على المبشرين أن يلاحظوا مدى خطورة الوعظ في أثناء شرحهم لقواعد الإنجيل الحكيمة بالمساواة التي تتعارض مع مبدأ الاستعمار المحكم**؛ وقال نابليون الأول في جلسة مجلس الدولة في ٢٢ مايو سنة ١٨٠٤ «**إن في نيتي إنشاء مؤسسة الإرساليات الأجنبية، فهؤلاء الرجال المتدينون سيكونون عونا كبيرا لي في آسيا، وإفريقيا، وأمريكا، سأرسلهم لجمع المعلومات عن الأقطار. إن ملابسهم تحميهم وتخفي أية نوايا اقتصادية أو سياسية**»[١]

كذلك استخدم التبشير قسوة الاستعمار في تنصير غير المسيحيين، وبارك استعمار بلادهم، واعتبره منحة من السماء للمستعمرين. وفي هذا يقول المبشر ستيفن نيل:

«**لقد أكد مرسوم البابا نيقولا الخامس الذي صدر عام ١٤٥٤ حق البرتغاليين في الاحتلال السلمي؟! لكل أراضي الكفرة «غير المسيحيين» التي قد تكتشف على طول الساحل الغربي لأفريقيا.**

في عام ١٤٥٦ أعطى البابا كالكستس الثالث إلى كبير رهبان جماعة المسيح في البرتغال – والتي كان هنري الملاح نفسه منتدبا لإدارتها – حق الإشراف الروحي على جميع الأراضي التي تخضع للتاج البرتغالي، وكذلك أية أراضي تضاف إليها مستقبلا. لقد كانت تلك امتيازات زائدة عن الحد.

وفي مايو ١٤٩٣ أصدر البابا إسكندر السادس ثلاثة مراسيم وضعت الأمور في نصابها الصحيح (؟!) فقد اعترف بالحق المطلق للتاج الأسباني في المتاجرة مع البلاد التي اكتشفت، أو التي قد تكتشف، في غرب الأطلنطي. وفي نفس الوقت وضع على الملك قيدا هو أن يجلب إلى العقيدة المسيحية الشعوب التي تسكن تلك الجزر والأراضي، وأن يرسل إليه رجال عقلاء حسب العقيدة الكاثوليكية.

---

(١) الرب والله وجوجو (الأديان في أفريقيا المعاصرة): جاك مندلسون – ترجمة إبراهيم أسعد- دار المعارف- القاهرة ص٢٠٩

لقد أكد البابا العنصر المسيحي في هذه الاكتشافات والفتوحات، ووضع على القوى المسيحية مسئولية دعم بعثات التبشير، وعليهم أن يؤسسوا – في زمان لاحق - أسقفيات، ويوقفوا عليها أموالا.

لقد أكد الملوك اعترافهم بسيادتهم الكنسية المطلقة تماما كسيادتهم السياسية المطلقة على الأراضي التي خضعت لهم، واستطاعوا الانطلاق بضمير طيب!! ليجعلوا الغزو حقيقة واقعة..

ولتجنب المنافسة بين القوى «المسيحية البحرية» فإن البابا رسم خطا على الخريطة من القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي غرب الأزور، ليكون ما يقع غرب هذا الخط تابعا لأسبانيا، وما يقع شرقيه تابعا للبرتغال.

لقد كان وصول هاتين القوتين إلى الدنيا الجديدة في الغرب متميزا بثلاثة اعتبارات هي: الغزو – الاستيطان – التبشير.

وكان على شعوب تلك البلاد المجهولة أن تدخل باستمرار تحت سيطرة الملوك المسيحيين الذين منحهم الله عن طريق البابا السيادة المطلقة!!»[1]

المأساة في أفريقيا:

تعتبر أفريقيا خير مثال لدراسة ارتباط التبشير بالاستعمار، وذلك لسببين اثنين على الأقل:

١ـ أن القارة الأفريقية تعرضت لأغلب أنواع الاستعمار على مدى قرون عديدة، فذاقت صنوفا من ويلات الاستعمار: الإنجليزي والفرنسي والإيطالي والألماني والهولندي والبلجيكي والأسباني والبرتغالي.

ولا تزال بها إلى الآن بعض الجيوب الاستعمارية التي لم تتم تصفيتها بعد.

---

(1) STEPHEN NEIL: A HISTORY OF CHRISTIAN MISSIONS, PENGUIN BOOKS, LONDON, 1964 ص ١٤١، ١٤٢، ١٦٨

٢ـ إن أفريقيا – كما يقول جاك مندلسون- تعتبر «من وجهة النظر الإرسالية هي قلب العالم. ويرعى أكثر من أربعمائة منظمة كنسية أمريكية نوعا أو آخر من المجهودات الإرسالية.. وطبقا لتقرير يعتمد عليه، يعمل في أفريقيا (قبل عام ١٩٧٠) ١٥٩٧٠ مبشرا بوتستانتيا أو زهاء ٣٥٪ تقريبا من المجموع البالغ ٤٢٢٥٠ مبشرا.. والمعدل الساري للمصروفات الخاصة بأعمال إرساليات الهيئات البروتستانتية الأمريكية وحدها (في منتصف الستينيات) حوالي ١٧٠ مليون دولارا في السنة»[١]

من أجل ذلك كانت شهادات الأفريقيين في قضية التبشير والاستعمار. تمثل حججا قوية لا يمكن تجاهلها.

لقد بينت التجارب في أفريقيا أن التبشير يعمل مخلب قط شرس للاستعمار.

وعندما كان كينيث كاوندا – رئيس جمهورية زامبيا حاليا- يكافح ضد الاستعمار الإنجليزي، فإنه بعث بخطاب «إلى رئيس الإرسالية نقل ما كتبه برناردشو في كتابه «رجل القدر»:

«حينما يريد رجل إنجليزي سوقا جديدة لبضائعه الفاسدة التي صنعها في مانشستر، فإنه يرسل مبشرا لتعليم الأهالي بشارة السلام. ويقتل الأهالي المبشر، فيهب الإنجليزي إلى حمل السلاح دفاعا عن المسيحية، ويحارب من أجلها، ثم يستولي على السوق كمكافأة من السماء.

إذا كنت تنوي خدمة الحكومة البريطانية بالطريقة التي وصفها شو، فلقد أتيت في الوقت غير المناسب. لم يقتل أجدادنا أحد الأوروبيين في المحمية، وسوف تتأكد من أننا لن نقتل أي أوروبي، مبشرا أو غير مبشر لأسباب سياسية»[٢]

---

(١) الرب والله وجوجو (الأديان في أفريقيا المعاصرة): جاك مندلسون – ترجمة إبراهيم أسعد - دار المعارف- القاهرة: ص ١٨٣

(٢) الرب والله وجوجو (الأديان في أفريقيا المعاصرة): جاك مندلسون – ترجمة إبراهيم أسعد - دار المعارف- القاهرة: ص ١٥١

وفي عام ١٩٦٠ كانت لندن «مسرحا لمؤتمر لجميع الطلبة الأفريقيين في المملكة المتحدة وشرق وغرب أوروبا والولايات المتحدة وأفريقيا.

وثار هذا البحث بمرارة عن علاقة المسيحية التاريخية بالاستعباد والاستعمار والإمبريالية والعنصرية، في كل خطب المندوبين. وكان خطاب شانجو ماكيو الذي مثل اتحاد طلبة شرق ووسط أفريقيا في المملكة المتحدة من أكثر الخطب حماسة: «إن كل أمة في العالم قد ضحكت علينا فعلا. لقد سخرت منا الأمم صغيرها وكبيرها،كنا موضوع احتقار وعلمنا كل نوع من الإساءة والإذلال وسوء المعاملة الوحشية، مما يطلق عليه اسم العالم المسيحي المتمدن..

لقد أدرنا خدنا الآخر[1]، ولكن هذا لم يكن قط موضوع تقدير.. إن الأرباح من العبيد الأفريقيين بنت قصورا وكنائس ومدنا إننا جميعا عبيد لأن الملايين من شعوبنا ما زالت تتألم من إذلال السيطرة السياسية والاقتصادية والروحية؛ وقد أعطى ج. كابرال للطلبة في مؤتمر لندن هذا البيان المحموم عن النشاطات الإرسالية في ممتلكات البرتغال الإفريقية:

«ليست هنالك بالذات أية مدارس، أو على الأصح توجد بعض مدارس تحت سيطرة الكنيسة الكاثوليكية. هل تعلمون ماذا تدرس؟

ليس حب الرب، ولكن حب البرتغال: إن كل المبشرين الكاثوليك وإن لم يسموا موظفين رسميين فإنهم يعدون موظفين في الخدمة الخاصة للمصالح الوطنية والمدنية. هذه هي الكلمات الفعلية لوصف مركز المبشر.. **إن الأعمال الإرسالية في المستعمرات تكفلها الحكومة.**

واعتلى المنصة لويس داميدا، من الحركة الشعبية لتحرير أنجولا، ليضيف بيانه السليط!! عن الأحوال في أنجولا:

---

(١) يقول الإنجيل على لسان المسيح: «من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا – متى ٥: ٣٩»

«**كثيرا ما تكون الحالة أنه بدلا من أن يحضر الأطفال الأفريقيون دراساتهم، أن يؤخذوا للعمل في الضيعات أو المزارع الإرسالية دون أن يعرفوا أي شيء عن القراءة أو الكتابة..** ويجب أن يلاحظ أن تعليم السكان الوطنيين تقوم به الإرساليات الكاثوليكية، وذلك تنفيذا لاتفاق تم توقيعه من عشرين سنة خلت بين البرتغال والبابا..

واسمحوا لي أن أنقل حرفيا فقرة من مقالة حديثة للكاردينال رئيس أساقفة لورنزو ماركس، ظهرت في مجلة البرتغال في أفريقيا، العدد الصادر في مايو ١٩٦٠. تقول المقالة:

إن ما يأمل المبشرون تحقيقه من تعليم وتهذيب الشباب الوطني، هو أن يحتفظ بكنيسة موزمبيق باستمرار إلى جانب البرتغال.. إن النشاط الإرسالي يمنح البرتغال فخرا في المنظمات العالمية السامية ويكون سندا قويا للسيادة البرتغالية.

وقد قال أحد الطلبة: قسما لن أسمح لابني أن يعاني من العقلية الدينية التي خالطت تفكيري ونظري طوال هذه المدة. وإنني حينما أنظر ورائي إلى الماضي وماضي عائلتي، **أعتقد أن النتيجة الأساسية لتدريبنا المسيحي هي أننا صرنا ساذجين لدرجة مذهلة**»[1]

وبعد أن اكتشف الأفريقيون العلاقة الوثيقة بين التبشير والاستعمار، ولمسوا الخديعة التي لحقت بهم، فإنهم أدانوا التبشير والمبشرين، بل والمسيحية كذلك.

يقول جاك مندلسون: «حينما تكون حالة الشبان الأفريقيين سعيدة، فإنهم لا يتعبون من ترديد القصة القديمة: إن المبشرين جاءوا إلينا وقالوا إننا نريد أن نعلمكم العبادة، وقلنا حسنا، إننا نريد أن نتعلم العبادة. وطلب المبشرون منا أن نغلق أعيننا، **وفعلنا ذلك وتعلمنا التعبد. وحينما فتحنا أعيننا، وجدنا الإنجيل في يدنا ووجدنا أراضينا قد اغتصبت!** ولكن هناك أيضا تلك الكلمات المريرة، كلمات تكررت بلا توقف في أفريقيا كلها.

---

(١) الرب والله وجوجو (الأديان في أفريقيا المعاصرة): جاك مندلسون – ترجمة إبراهيم أسعد – دار المعارف – القاهرة ص ٢١٠، ٢١١، ٢٣٤

إن حركة التبشير المسيحية كانت محاولة لإخماد الروح الأفريقية..

وقد حدثني أحد كبار موظفي حكومة غانا بعد أن فكر مليا قائلا: بعد تفكير عميق قررت ألا تكون لي صلة بأية كنيسة، فالكنائس لا تكاد تساعد في حل مشكلات غانا الروحية، وكل ما يلوح أنه يهمها هو جمع المساعدات المالية.. إن شبابنا يريدون شيئا لا يحصلون عليه، **ولا أستطيع أن أرغمهم على الذهاب إلى الكنيسة ليستمعوا إلى مبادئ لا يؤمن بها المبشرون أنفسهم إيمانا راسخا»**[١]

ولقد أدت سياسة التبشير المسيحي في أفريقيا إلى إدانة المسيحية ذاتها على ألسنة المسيحيين الأفريقيين الذين تربوا في مدارس التبشير، إذ قالوا:

«إن ما تدعيه المسيحية من معاملة الناس بالحسنى لا معنى له، لأن المسيحية نفسها قد ثبت عمليا أنها دين مشاغب. فكل ملة تهاجم الأخرى.. إن المبشرين مذنبون بأكبر خداع حماسي لجذب الناس للعمل الإرسالي.. إنهم وكلاء لسوء التمثيل الخارجي.. إنهم كانوا ذئابا في جلود نعاج.. إن المسيحية كانت جزءا من خداع أفريقيا»[٢]

لقد ظهر بوضوح الآن، أن التبشير عمل استعماري. وحين أدانه الأفريقيون، لم يجد نفر من المبشرين – غير المكابرين – سوى التسليم بتلك الإدانة، فقالوا: «إن المبشر مهما اعتقد أن هدفه مختلف عن المكتشف والمستوطن والوكيل التجاري والموظف الإداري، **فإن الأفريقي رأى فيهم جميعًا مشروعًا مشتركًا واحدًا.**

---

(١) الرب والله وجوجو (الأديان في أفريقيا المعاصرة): جاك مندلسون – ترجمة إبراهيم أسعد – دار المعارف – القاهرة.: ص ٢٩، ٣٠

(٢) الرب والله وجوجو (الأديان في أفريقيا المعاصرة): جاك مندلسون – ترجمة إبراهيم أسعد – دار المعارف – القاهرة ص ٣٣، ١٣٥، ١٩٩

ولم يكن الأفريقي مخطئا تماما في تقديره.. فالمسيحية وقد طبع عليها الاستعمار طابعه، أصبحت في موقف شديد الحرج..

وماذا عن حركة الدعوة التبشيرية المسيحية؟ إن تقدمها البطيء المستمر قد اصطدم الآن بأفريقيا الجديدة»[١]

التبشير والتفرقة العنصرية

ارتبطت حركة التبشير بالتفرقة العنصرية ارتباطا وثيقا. فمنذ قرون مضت، نشطت تلك الحركة واندفعت تغزو العالم وتدعي أن هدفها هو «جلب نور الإنجيل إلى العالم».

ولما كانت حركة التبشير مرتبطة أصلا بالاستعمار الذي ينبغي التسلط والسيطرة على مقدرات الشعوب، فإنها لم تلبث أن تقمصتها هي الأخرى روح التسلط والاستعلاء. وما ذلك إلا لأن المسيحية التي يقدمونها للناس، تعتبر في قرارة أنفس المبشرين دين الرجل الأبيض المتحضر الذي يجب أن تكون له السيادة حيثما كان. وحجتهم في ذلك أنه «مهما كان دم إخلاص أوروبا للمسيحية، فإن الواقع التاريخي يقرر أن المسيحية ومثلها لا يمكن فصلها عن تطور الحضارة الغربية»[٢]

ونتيجة لهذا الفهم الدنيوي للمسيحية، فإن التبشير المسيحي يمارس تفرقة عنصرية في مختلف المجالات، ومن أخطرها – ولاشك – المجالين السياسي والديني.

---

(١) الرب والله وجوجو (الأديـان في أفريقيا المعاصرة): جاك مندلسون – ترجمة إبراهيم أسعد – دار المعارف – القاهرة: ٢٨، ١٦٧

(2) STEPHEN NEIL: A HISTORY OF CHRISTIAN MISSIONS, PENGUIN BOOKS, LONDON, 1964 ص ٢٤٣

في مجال السياسة:

يقول جاك مندلسون: «**إن أكثر أجنحة المسيحية كشفا وقابلية للانثلام، هو التفرقة العنصرية الوحشية باسم المسيحية.** إن سلالة المستوطنين البيض المستقرين «وهم سلالة المستعمرين في جنوب أفريقيا» قد رأوا أنفسهم كتقليد توارثوه، **كأنما هم يعبدون تمثيل الدور الوارد في الإنجيل عن الشعب المختار وأرض الميعاد، حيث فرض الرب على الرجل الأسود أن يصقل الخشب ويجلب المياه خدمة للرجل الأبيض..**

وكحقيقة عابسة، فقد عطروا التفرقة العنصرية والتحامل الجنسي بأنها حقيقة طبقا للكتاب المقدس: **لو كان الرب قد أراد المساواة بين الأجناس لقال ذلك في الإنجيل**»[١]

ومن المحزن حقا أن يكون قصص الكتاب المقدس مصدر إلهام للمبشرين بالتفرقة العنصرية، وسندا قويا يحتجون به. ولقد أصدرت مجلة «لايف» عددا خاصا عن الكتاب المقدس، وكان مما جاء فيه:

«**لا تزال حكومة جنوب أفريقيا تعتمد على ما جاء في سفر التكوين – الذي يصف أحد أبناء حام بأنه «عبد العبيد» – لتبرير سيطرتها على السود وإذلالهم**»[٢]

والقصة المشار إليها في سفر التكوين، تحكي حادثة وقعت لنوح بعد الطوفان. بعد أن استقر نوح ومن معه على الأرض واستقامت لهم سبل الحياة، إذا بالرجل – كما يقول السفر – يسكر، فتلعب الخمر برأسه وتنكشف عورته ويراها أولاده. حتى إذا أفاق نوح من سكره وعلم ما كان من أمره، إذا به يظلم حفيده كنعان دون ما ذنب جناه سوى أن أباه حاما قد أبصر عورة نوح. ويدعي كتبة هذا السفر أن نوحا قال: «ملعون كنعان. **عبد العبيد يكون لإخوته.** وقال: مبارك الرب إله سام. **وليكن كنعان عبدا لهم** – تكوين ٩: ٢٥-٢٧».

---

(١) الرب والله وجوجو (الأديـان في أفريقيا المعاصرة): جاك مندلسون – ترجمة إبراهيم أسعد – دار المعارف – القاهرة ص ١٦١

(٢) يقول النص الإنجليزي: Life, april 19,1965

«the government of south Africa, still relies on genesis (which describes a son of ham as a salve of, to justify its subordination of negroes»

إن وثائق التبشير تعترف بأنه عندما «جاءت الإرساليات بالتعليم تلقاه الأفريقيون بحماس، **ولكن الكثيرين من المبشرين شاطروا المستوطنين وموظفي الاستعمار رأيهم في أن الأفريقيين يجب أن ينالوا نصيبا من التعليم إلى الحد الذي يؤهلهم فقط لأن يأخذوا مكانهم اللائق في مجريات الأشياء ومن الواضح أن المكان اللائق ليس مكانا مساويا..**

ومما لا يمكن تلافيه أن يرى بعض الأفريقيين أن التعليم الإرسالي ليس منحة فحسب، وإنما هو أيضا نوع من الاستعباد»[١]

إن التبشير المسيحي متهم دائما بأنه يساند النظم العنصرية، وينظر إلى الشعوب التي يعمل بينها من أفريقيين وآسيويين وغيرهم نظرة تكبر واستعلاء، وما ذلك إلا لارتباطه الوثيق بالاستعمار، وتخاذله أمام القوى التي تمارس التفرقة العنصرية، ذلك التخاذل الذي وصل إلى حد التواطؤ.

كيف لا، والتبشير المسيحي ذاته يمارس التفرقة العنصرية داخل كنائسه ومؤسساته وتنظيماته الكنسية، كما سنرى فيما يلي..

في مجال الدين:

تعتبر مأساة الكاهن الهندي متى دي كاسترو نموذجا للتفرقة العنصرية التي تمارسها الكنائس المسيحية بين كهنتها، أولئكم الذين غنمتهم نتيجة لحركة التبشير المسيحي.

وتتلخص هذه القصة – كما ترويها وثائق التبشير– في أن «متى دي كاسترو كان شابا هندوكيا من ولاية جوا «التي كانت آنذاك مستعمرة برتغالية» وقد تحول إلى المسيحية.

لكن أسقف جوا «البرتغالي الكاثوليكي» رفض رسامته كاهنا.. فما لبث أن نجح في شق طريقه إلى روما. وبعد سنوات من الدراسة تمت رسامته كاهنا في عام ١٦٣٠، وأعيد إلى الهند ليعمل في التبشير بين شعبه. بيد أن أعداءه أقاموا الكثير من العقبات في وجهه، مما اضطره في عام ١٦٣٦ أن يعود ثانية إلى روما بطريق البر..

وهناك تمت رسامته مطرانا وأعيد ثانية إلى الهند، إلا أن مصاعبه تضاعفت منذ لحظة وصوله، **فقد رفض أسقف جوا الاعتراف به مطرانا.**

---

(١) الرب والله وجوجو (الأديان في أفريقيا المعاصرة): جاك مندلسون – ترجمة إبراهيم أسعد – دار المعارف– القاهرة ص ١٦٨

وأخيرا لم يجد «متى» أمامه مفرا من العودة إلى روما مرة ثالثة ليعرض قضيته بنفسه وبعد مجهود عقيم بذل في إقناعه بالذهاب إلى الحبشة، فإنه عاد إلى الهند مرة ثالثة في عام ١٦٥١، وهو ينفث تهديدا ووعيدا ضد البرتغاليين وجميع اليسوعيين.. ولما بدأ «متى» في إرسال الشكاوى المتلاحقة إلى روما ضد البرتغاليين وما كان عليه أمر الكنيسة في جوا، تبين من بحثها أن جزءا من اتهاماته كان صحيحا.

إلا أنه رؤي من الحكمة التخلص من المصدر الأساسي للقلاقل «وهو متى!» ولذلك جرد من لقبه في عام ١٦٥٨، وأعفى من وظيفته، إلى أن توفى عام ١٦٧٧..

ولم يتم رسم المطران الهندي الكاثوليكي التالي إلا عام ١٩٢٣»[1]

أي بعد حوالي ٣٠٠ عام من بدء تلك المأساة الدينية الساخرة.

ولقد استمرت هذه التفرقة العنصرية الدينية تحكم سياسة التبشير في كل مكان، ليس فقط في آسيا، كما رأينا في المثال السابق، ولكن أيضا في أفريقيا وأمريكا الجنوبية وسائر الجزر والمواطن التي تتعرض للغزو التبشيري.

وتقوم هذه السياسة على عدم تأهيل مسيحيي تلك البلاد – الذين تنصروا نتيجة لجهود المبشرين ويفترض أنهم صاروا إخوانا لهم في العقيدة! – لتولي أي سلطة أو رئاسة في الكنيسة ومؤسساتها. وما ذلك إلا لأن التبشير حركة تستهدف- في المقام الأول- السيطرة على المناطق التي تغزوها، وتتخذ الإنجيل والمسيحية وسيلة لتحقيق ذلك.

ولقد فطن القادة والمثقفون في أفريقيا إلى خداع حركة التبشير، ولذلك انتهزوا كل فرصة للتعبير عن سخطهم وكراهيتهم. فنراهم يقولون: «حينما يكون للرجل الأبيض اليد العليا، فإن المبشرين يتقبلون برضاء غريب التفرقة العنصرية.

---

(1) STEPHEN NEIL: A HISTORY OF CHRISTIAN MISSIONS, PENGUIN BOOKS, LONDON, 1964 ص ١٨٢، ١٨٣

إن المبشرين يتثاقلون حينما يكون الأمر متعلقا بتدريب أحد الأفريقيين لتولي الرئاسة والسلطة في الكنيسة. إن الإرساليات كانت تقف موقف عدم الاهتمام، بل والعداء، من القومية، ولم يوجد شعور صادق حقيقي للتوجيه السياسي الذي يسيطر على الشباب الأفريقي..

«وفي حديث مع أحد المبشرين» أشار فلاح ثري من كيكويو إلى قمة تل من التلال السوداء بكينيا قائلا: هل ترى الإرسالية التي هناك؟ إنهم يديرون ملجأ للأيتام ومدرسة للتجارة ومستشفى، وكل هذا لصالحنا نحن الكيكويين.

ولكن هل تعلم أنني لم أر قط أي قسيس أبيض منهم في اجتماع أو قداس بقريتنا؟ إذا كانت هذه هي المسيحية فإننا نستطيع الاستغناء عنها»(1)

ولقد دار حوار بين أحد المبشرين وشاب نيجيري مسيحي مثقف، اشتغل بالتدريس لبضع سنين في مدارس الإرساليات، وكان في بلده واعظا مرخصا له وشغل عدة منابر للوعظ، وسافر إلى الولايات المتحدة للدراسة الجامعية، ثم عاد إلى نيجيريا. وكان السؤال الذي طرحه المبشر هو: ماذا ترى مستقبل المسيحية كالتزام ديني لنخبة أفريقيا الناهضة؟

فكان جواب الشاب النيجيري: «في المستقبل القريب جدا سوف تخسر المسيحية نهائيا في أفريقيا. إنها تخسر فعلا. هل تظن أنني عائد إلى أفريقيا لأظل مسيحيا؟ كلا..»

وحينما ضغط عليه المبشر «ليشرح لماذا يظن أن للمسيحية مثل هذا المستقبل الضئيل في أفريقيا، فإنه انتقد المبشرين وقادة الكنيسة الأفريقية قائلا:

«إن المبشرين البيض الذين جاءوا إلى أفريقيا للتبشير بالإنجيل، لم ينصروا شعبهم بعد. يجب عليهم أن يروا الرمد الذي في عيونهم قبل عيون جيرانهم.

---

(١)الرب والله وجوجو (الأديــان في أفريقيا المعاصرة): جاك مندلسون – ترجمة إبراهيم أسعد – دار المعارف– القاهرة: ص ٢٩،٣٠

أنا لا أستطيع أن أفهم لماذا يجب أن تكون هناك تفرقة عنصرية في الكنيسة.

إن الكنيسة مشروع تجاري، وليس من المشجع رؤية المبشرين الأغنياء المتخمين ولاعقي أحذيتهم القسيسين الأفريقيين وهم يجمعون المال من الفقراء»[١]

وفي أمريكا الجنوبية تسجل وثائق التبشير على المبشرين الجيزويت الذين عملوا بين شعب براجواي – استغلالهم وتفرقتهم العنصرية في مجال الدين. فهم «لم يفعلوا إلا القليل جدا من أجل تطوير حاسة المبادأة وروح الاستقلال بين قطيعهم البشري.. لقد بدا أنهم يرغبون في أن يظل الشعب في «بارجواي» حولهم أطفالا يسهل انقيادهم بدلا من تأهيلهم للحكم الذاتي.

لقد كانت بيد الجيزويت السلطة كاملة طيلة أكثر من قرن، وخلال تلك الحقبة الطويلة فإنهم لم يؤهلوا أي مرشح للكهانة، ولم ينشئوا أي جماعة للراهبات. لقد كان الجيزويت يعتقدون أن الوقت لم يحن بعد لتحقيق ذلك..

لقد جاء الانتقام الإلهي بسبب هذه السياسة عندما طرد الجزويت، ولم يكن لدى الهنود في «بارجواي» القدرة على القيادة الذاتية..

وما أن جاءت نهاية القرن الثامن عشر حتى تقوض كل شيء ولم يبق ما يمكن ذكره. لقد استعادت الأدغال كل ما لها من الشعب الوثني»[٢]

إن التفرقة العنصرية التي يمارسها التبشير المسيحي في المجال الديني حقيقة لم تعد تقبل المراء، بعد أن اعترف بها المبشرون أنفسهم، وإن كان هذا الاعتراف قد جاء متأخرا.

---

(١) الرب والله وجوجو (الأديـان في أفريقيا المعاصرة): جاك مندلسون – ترجمة إبراهيم أسعد – دار المعارف– القاهرة: ص ١٩٥، ١٩٦

(2) STEPHEN NEIL: A HISTORY OF CHRISTIAN MISSIONS, PENGUIN BOOKS. LONDON. 1964 ص ٢٠٣

يقول ستيفن نيل: «**في القرن التاسع عشر خضع المبشرون إلى العقد الاستعمارية التي تقول بأن الرجل الغربي فقط هو الإنسان بكل ما تعنيه هذه الكلمة.** لقد كان عاقلا وطيبا، على أنه يجوز للأجناس الأخرى «غير الأوروبية» أن تشارك في هذه الحكمة والطيبة بالقدر الذي تصطبغ به من نظم الحياة الغربية.

لكن الرجل الغربي كان هو القائد، ولسوف يبقى هكذا لزمن طويل، وربما إلى الأبد.

وعندما ارتفعت الأصوات لتنقد تلك الفكرة التي صارت مسلما بها، فإنها تعرضت للإسكات... **فحتى عام ١٩١٤ لم يكن لدى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية أي أسقف من أصل غير أوروبي سوى أربعة..**

وعندما أثار شاب بلجيكي هو القس فنسنت لب، السؤال عما إذا كان الوقت لم يحن بعد لخلق أسقفيه وطنية في الأقاليم الأخرى «غير الأوروبية» فإنه واجه معارضة شديدة لاحقته في كل مكان، **وتقول إنه طالما كان الجنس الأبيض في استطاعته أن يقدم موردا لا ينضب من الأساقفة، فإنه لا يمكن أن يوجد رجل واحد من الأجناس الصفراء والحمراء والبنية والسوداء، يستطيع حمل ثقل الأسقفية»**[1]

وهكذا، وبلا حياء. يمارس التبشير المسيحي التفرقة العنصرية في مجالات العقيدة الدينية، التي يزعم أنه جاء ليهدي بها البشر.

التبشير والتجارة

يعتبر التبشير تجارة تدر على القائمين به من مؤسسات وأفراد؛ أرباحا طائلة. ولقد ارتبطت حركة التبشير بالأعمال التجارية والمالية منذ نشأتها. لذلك نجد أن شركة الهند الشرقية الهولندية التي تأسست عام ١٦٠٢، قد «أقامت مدرسة للاهوت في ليدن، قامت بتدريب ١٢ قسيسا في الفترة من ١٦٢٢-١٦٣٣ للخدمة فيما كان يعرف باسم الممتلكات الهولندية في أندونيسيا وسيلان..

وكان كل مبشر من هؤلاء يتقاضى عمولة نقدية عن كل شخص يعمده نصرانيا.

---

(1) STEPHEN NEIL: A HISTORY OF CHRISTIAN MISSIONS, PENGUIN BOOKS, LONDON, 1964 ص ٢٥٩

وقد ساعد على نجاح التبشير في تلك المستعمرات أن منحت امتيازات واسعة للمسيحيين، كما لعب العامل السياسي دورا كبيرا في تنصير الأهالي.. بعد ذلك لا نندهش كثيرا عندما نجد أن عدد المحولين إلى المسيحية كان كبيرا. ففي نهاية القرن السابع عشر، أعلن الهولنديون عن تنصير ١٠٠٠٠٠ في جاوا، و ٤٠٠٠٠ في أميون، لكن إخلاص هؤلاء المتنصرين للمسيحية كان موضع شك»(١)

وفي الهند اشتغلت بعثة بازل السويسرية التبشيرية بالأعمال التجارية البحتة، فكان لها **«مصانع بلاط ومصانع نسيج شهيرة في كل أنحاء جنوب الهند، إلى أن قامت الحكومة أثناء الحرب العالمية الأولى بإنشاء مؤسسة شركات الكومنولث لإدارة المشروعات الصناعية والتجارية التي كانت في يد البعثات التبشيرية»**(٢)

وفي أفريقيا رأينا أن المستنيرين من الأفريقيين قد اكتشفوا أن الكنيسة التبشيرية «مشروع تجاري» وأن الأطفال الأفريقيين يؤخذون إلى مدارس التبشير، لا من أجل التعليم بل للعمل في الضيعات ومزارع الإرساليات.

«وفي أمريكا الجنوبية، كانت بعثة الجيزويت التبشيرية في براجواي من أكثر المشاريع شهرة.. لقد كانت تبني الكنيسة وسط المشروع، وفي كثير من الحالات كان المبنى فخما رائعا. وحول الكنيسة أسكن الأهالي في منازل انتظمت في صفوف. **وتمتلك الكنيسة الجزء الأكبر من الأراضي المنزرعة حيث كان على الأهالي أن يعملوا بها عددا مفروضا من الساعات كل أسبوع.. ولقد كان النظام صارما والمعاملة خشنة»**(٣)

---

(1) STEPHEN NEIL: A HISTORY OF CHRISTIAN MISSIONS, PENGUIN BOOKS, LONDON, 1964 ص ٢٢٤،٢٢٣

(2) STEPHEN NEIL: A HISTORY OF CHRISTIAN MISSIONS, PENGUIN BOOKS, LONDON, 1964 ص ٢٧٨

(3) STEPHEN NEIL: A HISTORY OF CHRISTIAN MISSIONS, PENGUIN BOOKS, LONDON, 1964 ص ٢٠٣،٢٠٢

ولا عجب من ذلك كله، فإن المراسيم البابوية التي صدرت في القرون الوسطى، كانت تمنح أراضي غير المسيحيين – باعتبارهم كفرة - في كل أنحاء العالم، ملكا للكنيسة والمستكشفين والمستعمرين.

ذلك أن الكنيسة قد ربطت قوتها بثرائها، فلجأت منذ عهد مبكر إلى استخدام سلطانها الروحي في مد سلطانها المادي على الأراضي والممتلكات في البلاد المسيحية أيضا، وذلك بحث المواطنين على التبرع بالأراضي أو وقفها لخدمة الكنيسة. ولقد تسبب هذا في حدوث منازعات كثيرة بين الملوك والإقطاعيين ورجال الكنيسة في أوروبا لقرون عديدة.

يقول أرنست كيللت: «إن تاريخ إنجلترا وفرنسا وألمانيا، وحتى إيسلندة البعيدة: مليء بقصص عن مثل هذه المنازعات.. إن مثل تلك العطايا من الأرض كانت تتكرر كثيرا، فقد كان ينظر إليها على أنها حجوزات في قصر السماء، لدرجة أنه في بعض البلاد، كانت الكنيسة تملك ما لا يقل عن ربع أو ثلث المساحة الكلية للأراضي، وكان تجنب المنازعات عند هذا الحد غير ممكن، بسبب مفهوم حق الملكية في العصور الوسطى.

لقد كانت النظرية تقوم على أن البلد كله ملك للملك، وأن أراضي اللوردات والمقاطعات والعقارات المؤجرة – كما نستطيع قوله - كانت مؤجرة منه باعتباره مالك الأرض. ولهذا فإن أراضي الكنيسة كان عليها ضرائب مثل تلك التي يدفعها أي مستأجر آخر. بيد أنه كانت هناك ضريبة واحدة هربوا منها، واعني بها ضريبة التركات، التي تدفع عندما يتوفى المستأجر ويخلفه وريثه. **إن الكنيسة لم تمت أبدا، ولم يكن لها ورثة، وهو الوضع الذي ترتب عليه وجود تحويلات مزورة من الأراضي إلى الكنيسة، وذلك لكي يتجنب الملاك الحقيقيون ضريبة التركات..** لقد أصبح الشعور هو أن الكنيسة لديها الكثير،وأن التاج يفقد الكثير.. وعادت المنازعات بين الكنيسة والملك عند النقطة التي تتفرق فيها وظيفتيهما، فأحدهما «الملك» يكافح من أجل بقاء تلك الأراضي في اهتماماته، بينما كان الآخر «الكنيسة» يريدها أن تبقى فيما يسمى باهتمامات الدين. وقد استمر مثل هذا الصراع طويلا..

وفي حكم إدوارد الأول، كان سريعا وغاضبا، لأن الملك كان في مسيس الحاجة إلى المال، بينما رفضت الكنيسة ذلك، طبقا للمنشور الذي أصدره البابا بونيفاس الثامن.. لقد هزم باستمرار أقوى الملوك واللوردات، حتى جاء أسر وتدمير بونيفاس على يد فيليب الفرنسي، حيث علم البابوية الدرس..

من أجل ذلك فإننا لا نندهش من أنه – في حالات كثيرة- كان أول هجوم على الكنيسة متعلقا بثروة رجال الإكليروس. لقد اتخذت إجراءات عن طريق البرلمان، ضد أعمال السلب والابتزاز التي كان يقوم بها البابا وسفراؤه، وحدث عصيان وتمرد، من حين لآخر، ضد الطغاة الصغار في الأبرشيات. **وقد شارك في ذلك أفضل من في رجال الإكليروس أنفسهم لقد فحصوا «أسفار» العهد الجديد، فوجدوا أن الرسل الأول للمسيح كانوا فقراء. لذلك كان هناك مطلب يتردد وهو أن تعود الكنيسة إلى حالة الفقر التي كان عليها الرسل. لكن مثل هذه الحركة لم تتوقف عند هذا الحد، فقد امتدت من الهجوم على ثراء الإكليروس – والذي كان يعضده كثير من النبلاء- إلى هجوم على المعتقدات. وعلى سبيل المثال، فإن «ويكلف» قد عبر – قرب نهاية حياته – عن أكثر شكوك ساورته وهي التي تتعلق بتحول المادة، أي القربان، إلى لحم ودم المسيح...**

لقد تمسك آباء الكنيسة بشتى الأفكار التي تقوم على نظرية السر المقدس، واختلف العلماء في تفسيراتهم الميتافيزيقية التي تحتال لها، ولم تستقر هذه العقيدة نهائيا إلا بعد أن تأكدت في مجمع اللاتيران الذي عقد في عام ١٢١٥.

من الواضح أن مثل هذه العقيدة تزيد من قوة رجال الإكليروس بدرجة كبيرة. فإذا اعتقدت أنك لا تستطيع دخول «مملكة» السماء بدون أكل جسد المسيح، وإذا كان الشخص الوحيد الذي يستطيع عمل معجزة إعطائك هذا الجسد على شكل خبز، هو القسيس، فإنك تصير عندئذ تحت رحمة القسيس. فما عليه إلا أن يهددك برفض تقديم الطعام المتحول، وما عليك إلا أن تستجيب لرغبته.

إن الهجوم على هذا المعتقد إنما يعني الهجوم على نفس قلعة تسلط الإكليروس الذين أدركوا الخطر سريعا.. لقد وصم «ويكلف» وشيعته من اللولارديين بالهرطقة.. ولم يكن أكثر تلاميذ «ويكلف» شهرة رجلا إنجليزيا، لكنه كان «جون هسينتز» من بوهيميا، الذي عرف باسم «هس»، رئيس جامعة براغ.. **لقد اختير «هس» لفحص بعض المعجزات التي قيل إن دم المسيح عليها، فلم يلبث أن نطق بالحكم وقرر أنها كانت عمليات غش واحتيال.**

ولقد نشر بحثا يحض الناس على الكف عن البحث عن الآيات والعجائب، وعليهم أن يبحثوا، بدلا من ذلك، في الكتب «المقدسة».. لقد طلب هس حرية الفكر، وكانت حرية الفكر تقود إلى نشر معتقدات «ويكلف».. وفي عام ١٤١٠ صدر مرسوم بابوي يحظر تداول كتابات «ويكلف»..

وأخيرا، أحضر «هس» للمحاكمة، واقتطعت قصاصات من كتاباته المتهرطقة، وقرئت، وضاع دفاعه وسط صيحات الغضب.. **لقد تقرر الحكم عليه من قبل، فقد فصل من زمرة الإكليروس، وحكم عليه بالموت.. وفي ٦ يوليه ١٤١٥ أحرق «هس» حيا في كونستانس. وفي خلال عام، لقى صديقه «جيروم» من براغ نفس المصير. إن المؤكد تماما أن «هس» لم يكن هرطيقا.** ومن المؤكد، على أي حال، أنه لم يمت بسبب الهرطقة، ولكن بسبب احتقاره للسلطة الكنسية،ومن المؤكد كذلك أن موته كان انتهاكا للقانون»[1]

يبدو أن السادة المسئولين عن كل تلك المآسي والانغماس في الدنيويات، قد نسوا قول المسيح في الإنجيل:

«لا تقدرون أن تخدموا الله والمال.. إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله – متى ٦: ٢٤، ١٩: ٢٤».

---

(1) E.E Kellet: A short history of religions, penguin books, London, 1962 ص ٢٩٣-٢٩٨

صراع المبشرين:

يطول بنا الحديث عن صراع المبشرين عبر القرون والقارات، ذلك أن إخوان العقيدة – أو هكذا يفترض أن يكونوا – الذين يبشرون بالمسيح والإنجيل، كانت تضطرم بينهم نار العداوة والبغضاء أينما حلوا وحيثما كانوا.

يقول ستيفن نيل: «في القرن السادس عشر أخذ ملوك أسبانيا والبرتغال المبادأة في فتح باب التبشير.. وفي ظلهم تمتع المبشرون بالحماية الملكية ولم يجدوا صعوبة في السفر على السفن الأسبانية والبرتغالية. وفي كثير من الحالات كانت المساعدات كريمة إلا ما ندر.. **ومن ناحية أخرى كانت هناك مآخذ خطيرة، ذلك أن ارتباط التبشير بالسياسة كان يعني أن المبشرين معرضون للانغماس كثيرا في المطالب الدنيوية، وحتى في التجارة.**

لقد كانت المنافسة بين الجماعات التبشيرية أبعد ما تكون عن التقى والعمل إرضاء لله، لدرجة أنه في اليابان، وتحت ظل الصليب، نجد أن الفرنسيسكان قد نقدوا الجزويت بمرارة، وبالمثل سخر الأخيرون من الأولين..

لقد عين الجزويت مطرانا لفوناي عام ١٥٨٧ لكنه توفى في الطريق وقد وصل خلفه بدرو مارتينز إلى نجازاكي في ١٤ أغسطس ١٥٩٦، لكنه وجد إرسالية التبشير على مثل تلك الحال من الاضطراب بسبب المنافسة بين البرتغاليين والأسبان الذين وصلوا حديثا من مانيلا، مما جعله يقرر العودة إلى روما يلتمس التوجيه، بيد أنه مات أثناء الرحلة..

وتحت حكم إياسو وايمتسو وصل اضطهاد المسيحيين إلى مستوى من الضراوة جعل المشكلة المسيحية تحل بموت أغلب المؤمنين بها أو ارتدادهم عنها. **إن الأسباب الحقيقية لاضطهاد المسيحيين (في اليابان) يصعب تقصيها، إلا أن جانبا منها يرجع إلى ضعف وضع الجيزويت نتيجة لوصول الفرنسيسكان والدومنيكان من مانيلا، وبسبب الضعف الشديد للوحدة بين المبشرين. وزاد الطين بلة وصول الهولنديين والبريطانيين الذين اغتنموا كل فرصة ليحملوا معهم إلى اليابان الضغائن والأحقاد التي مزقت أممهم في أوروبا..**

وهناك من الأسباب ما يدعو إلى الاعتقاد بأن اللغة الهوجاء التي استخدمها الفرنسيسكان أوحت إلى شعب اليابان الحساس، أن المبشرين كانوا هناك كمقدمة لجيش احتلال، وأن التسلل المسيحي سوف يتبعه احتلال سياسي..

لقد انقضى أكثر من قرنين قبل أن تفتح اليابان ثانية للعمل التبشيري»[١]

وفي الهند «**كان السوريان يكرهون الجزويت والبرتغاليين**، فقد اشتكوا مرارا من الميزات والاستثناءات التي تمتعوا بها بلا حدود، لذلك تجمهروا ساخطين في عام ١٦٥٣ وأقسموا على طرد الجزويت.

وعندما استولى الهولنديون على كوشين نهائيا، فإنهم أمروا كل الكهنة والرهبان الأجانب بمغادرة الإقليم.

وقام المورافيون بمجهودات ضئيلة لتبشير الأفريقيين في جنوب أفريقيا، وكان أول رائد بينهم هو جورج شميت الذي وصل عام ١٧٣٧، **وقد طرده الهولنديون عام ١٧٤٤ وانفضت تلك البعثة التبشيرية حتى عام ١٧٩٢**»[٢]

وفي أمريكا «**كان المبشرون شهودا على مأساة الهنود الحمر**. إن أيا من بريطانيا وفرنسا وهولندا، لا يمكنها التنصل مما حدث. لقد كان الأسلوب اللاإنساني الذي أقحم به الرجل الأبيض، ذلك الهندي الأحمر في صراعاته الخاصة، مثيرا الهندي ضد الهندي، والهندي ضد الأوروبي، **إنما يمثل مرحلة من أكثر فترات التاريخ الاستعماري خزيًا وعارًا.**

وأسوأ من ذلك هو تطبيق مبدأ: اشرب الخمر، ودع الشيطان يتكفل بالتالي.

---

(1) STEPHEN NEIL: A HISTORY OF CHRISTIAN MISSIONS, PENGUIN BOOKS, LONDON, 1964 ص ١٥٩ - ١٦٢

(2) STEPHEN NEIL: A HISTORY OF CHRISTIAN MISSIONS, PENGUIN BOOKS, LONDON, 1964 ص ٢٦٩، ٢٧٠، ٣١٠

فإن الهندي الأحمر لم يستطع مقاومة إغراء خمر الرجل الأبيض الملتهبة، **وهنا كما في أي مكان آخر، نجد أن تغذية الشعب البدائي بالكحول يعادل القتل مع سبق الإصرار**»[١]

لقد كان الفساد في الجماعات التبشيرية والعداء بينها سببا في قيام البابا بحل جماعة الجزويت. «فمنذ البداية كان رجال الإكليروس والجماعات الدينية الأخرى معادية لهم. **وكثرت الشكاوى من غطرستهم ووسائلهم البذيئة في التبشير، وتدخلهم في السياسة، وتجميعهم لثروات ضخمة عن طريق المضاربات التجارية.**

لقد انتظرت روما طويلا ثم قررت في النهاية أن تضرب. ففي ٢١ يوليو ١٧٧٣ حل البابا كليمنت الرابع عشر جمعية يسوع هذه، وصادر ممتلكاتها. وفي ذلك الوقت كان عدد أعضاء هذه الجماعة ٢٢٥٨٩ منهم ١١٢٩٣ كاهنا. **ونتيجة لذلك فإن ٣٠٠٠ مبشرا على الأقل سحبوا من مجال عملهم.. وشحنت الأغلبية العظمى منهم على أسطح المراكب كالخراف، عائدين إلى وطنهم الأصلي.** وفي أماكن كثيرة، كما حدث في باراجواي، اكتملت الكارثة. لقد كان القرن الثامن عشر في كل الكنائس زمنا للتراخي والتقهقر»[٢]

أما بعد...

فلقد رأينا المبشرين يعملون «**لخدمة الاستعمار والعبودية**» - وهم جواسيس «**يجمعون المعلومات لدولهم، وتحميهم ملابسهم الكهنوتية**»، ولذلك تعمد الدولة المسيحية التي تحل محل أخت لها في مستعمراتها إلى طرد المبشرين من أراضيها الجديدة - وقد كانوا يعلمون البسطاء حب دولتهم الاستعمارية «لا حب الرب» -وقد خدعوهم حين طلبوا منهم «**أن يغلقوا أعينهم للتعبد والصلاة، فلما فتحوها وجدوا الإنجيل في أيديهم أما أراضيهم فقد اغتصبت**».

---

(1) STEPHEN NEIL: A HISTORY OF CHRISTIAN MISSIONS, PENGUIN BOOKS, LONDON, 1964 ص ٢٠٢

(2) STEPHEN NEIL: A HISTORY OF CHRISTIAN MISSIONS, PENGUIN BOOKS, LONDON, 1964 ص ٢٠٦

والمبشرون إقطاعيون يملكون الضياع والمزارع والمصانع والمتاجر، استولوا على أراضي الفقراء، واستخدموهم في زراعتها، وجنوا الأرباح الطائلة من كل ذلك فبنوا القصور والكنائس والمدن.

وهم يساندون التفرقة العنصرية سياسيا، ويمارسونها في كنائسهم ومؤسساتهم دينيا. وهم انتهازيون نفعيون، عندهم «الغاية تبرر الوسيلة» فكانت سياساتهم الخبيثة مع البسطاء كالهنود الحمر «**من أكثر فترات التاريخ الاستعماري خزيا وعارا**»، وما فعلوه فيهم كان «**يعادل القتل مع سبق الإصرار**».

ولو كانوا مخلصين للمسيحية حقا ما اقتتلوا ذلك القتال الشرس الذي عرضهم لنكسات في أعمالهم التبشيرية، فلقد «**كانت المنافسة بين الجماعات التبشيرية أبعد ما تكون عن التقى والعمل إرضاء لله**».

من أجل ذلك، فإن المثقفين في شعوب العالم الثالث أصبحوا يدركون جيدا أن المبشرين ليسوا سوى «**ذئاب في جلود نعاج**».

والآن لم يعد من الصعب الإجابة على السؤال الذي اتخذناه عنوانا لهذا الفصل: عطاء التبشير لمن: لقيصر أم لله؟

إن عطاء التبشير لقيصر، مهما كابر المكابرون، وجادل في ذلك المراءون. وهو عطاء يبرأ منه المسيح أولا وأخيرا، إذ قال لأهل الخديعة والنفاق الديني – وهو شر أنواع النفاق- حين واجههم:

«يا مراءون: حسنا تنبأ عنكم إشعياء قائلا: يقترب إلى هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عني بعيدا. وباطلا يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس –متى ١٥: ٧-٨».

❊❊❊❊